من هو الناقد؟

من حق القارئ عليّ ان يسألني أيّ مبدأ تختار لنفسك على أساسه يكون تحليل القطعة الأدبية للحكم عليها، وجوابي في اختصار هو انه تكون القطعة الأدبية مكتفية بذاتها، غير معتمدة في فهمها وتقديرها على شيء وراءها ولا على شيء أمامها، فاعتقادي هو أن الأثر الأدبي - والأثر الفني بصفة عامة - يبعد جدًا عن الفن الأصيل اذا كانت مهمته أنه «يصور» شيئا سواء كان هذا الشيء المصوّر خارج الانسان أو داخله

إنه كل كائن مخلوق في الدنيا قيمته في نفسه لا في غاية يؤديها فلماذا يسمّى الخلق الادبي والفني عن ذلك؟ هذا الجبل بديع لذاته لأنه يصدّ الرياح الحارة ويلطف الجو. وكذلك قل في النهر وتلك الزهرة، قله في الطائر الغرد وفي كل فرد من الانسان تستوفقل شخصيته لأيّ سبب من الأسباب. لو كانت مهمة القصيدة من الشعر هي أنه تصف لي زهرًا بذاته عند نقطه بعينها، ولو كانت مهمة القصة هي انه تصف لي شخصا بذاته في حقبة من الزمن بعينها، بحيث يجوز لي أنه انظر الى الوصف من جهة والى الشيء الموصوف من جهة اخرى فاقول ان الكاتب قد اجاد أو اساء، لما كانه للأدب مهمة يؤديها، لانه النهر هناك طق شاء أنه يراه، ولأن الشخص المعيّن هناك لمن اراد أنه يلتفت به أو ان يقرأ عنه في كتب التاريخ

كلا، ليست مهمة الفن في شتى صوره أنه «يحاكي الطبيعة» أو انه "يحكي" عن الإنسان، لانه عندئذ يكون صورة باهتة لأصل ناصع وفيم حاجتنا الى الصورة وأصلها هناك قائم؟ ليست مهمة الفن في شتى ألوانه أنه "يكشف" عن حقيقة سبق وجودها وجودًا لأنه السابق عندئذ يكون متبوعا ثم يجيء الفن تابعًا

كلا ولاهمة الفن في شتى قوالبه وأساليبه أن يعظ الناس كيف ينبغي أن يسلكوا في هذا الموقف أو ذاك، لأن الواعظين على المنابر قائمون بأداء هذه المهمة خير الأداء، ولكن مهمة الفن هي أن "يخلق" و"يبدع"، أن يخلق كائنا جديدا لم يكن له أصل سابق عليه لا في جوانب الطبيعة الخارجية ولا في حالات النفس الداخلية، نعم قد يتخذ الفنان من هذه وتلك عناصره، كما يتخذ من لغة التفاهم نفسها أدواته، لكن الكائن الذي يبدعه من تلك العناصر وبهذه الأدوات لابد ان يكون خلقا وابداعا.

بهذا المبدأ الذي أوجزته إيجازا شديدا تراني أقبل على القصة أو القصيدة باحثا غيرها عن مواطن سرها، وبقدر ما أراها معتمدة على ما ليس منثرا وما ليس غيرها يكون نقصها، فلست أريد لها أن ترتكز على حادثة او حوادث معينة، بحيث لا يكون لها معنى مفصوم بغير تلك الحوادث، ولست أريد أن ترتكز على قيمة خلقية أو على عقيدة مذهبية معينة، بحيث تفقد كيانها كله لولا تلك القيمة الخلقية أو هذه العقيدة المذهبية. إنها لو فعلت شيئا من هذا كانت - على فرض بلوغها حد الكمال في مهمتها - شيئا يفتقر الى ما هو أهم منها.

الدكتور زكي نجيب محمود: في فلسفة النقد